جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

المحاضرة رقم 10 في مقياس مجالات العلوم الاجتماعية

مقدمة من طرف د. سمير قريد أستاذ محاضر أ إلى طلبة السنة الأولى علوم اجتماعية

أهم رواد ونظريات العلوم الاجتماعية: ابن خلدون ونظرية الصراع الاجتماعي

أولا–علم العمران البشري عند ابن خلدون

على الرغم من أن التفكير الاجتماعي قديم قِدَمَ الإنسان نفسه، إلاَّ أن الاجتماع الإنساني لم يصبح موضوعًا لعلمٍ إلا في فترة لاحقة، وكان أَوَّل مَنْ نَبَّه إلى وجود هذا العلم، واستقلال موضوعه عن غيره، ووضع أسسه، وابتكره، هو العلاَّمة المسلم عبد الرحمان ابن خلدون، فقد صرَّح في عبارات واضحة أنه اكتشف علمًا مستقلاً، لم يتكلَّم فيه السابقون، إذ يقول: "وكأن هذا علم مستقلٌّ بنفسه، فإنه ذو موضوع، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل، وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته، واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم، وضعيًّا كان أو عقليًّا **(راغب السرجاني، 2013)**.

ويمكن اعتبار ابن خلدون أول من حدد بوضوح المبادئ الأساسية التي يجب أن يرتكز عليها علم العمران البشري كالآتي:

1– خضوع الظواهر الاجتماعية إلى قوانين تسمح للأحداث الاجتماعية أن تنتظم وفق أنماط معينة.

2– تأثر قوانين الظواهر الاجتماعية بالجماعات وليس بالحدث المنعزل الذي يصدر الفرد.

3– يتم اكتشاف تلك القوانين بجمع الحقائق من الماضي والحاضر، أي باستخدام التاريخ والاستكشاف والملاحظة.

4– منظومة القوانين الاجتماعية الواحدة تصدق على المجتمعات المتماثلة البنية، رغم تباعدها في المكان والزمان.

5– المجتمعات ليست ساكنة بل هي عرضة للتغير والتطور، وأول سبب في ذلك هو التفاعل بين الشعوب والطبقات الاجتماعية **(بكيس نور الدين ورزقي نوال، 2018: 27)**.

ويرجع ابن خلدون التجمع الإنساني إلى ثلاثة عوامل أساسية هي:

1- **ضرورة اقتصادية:** التي لا يمكن الاستغناء عنها، كما أن الفرد لا يقدر أن يحقق هذه المهمة الناتجة عن رغبة حتمية فكان من الضروري أن يجتمع مع غيره ويتعاون من أجل تأمين حاجياته والحصول على قوته، وبناء على ذلك فإن الحياة الاقتصادية لا يمكن أن تزدهر إلا في الحياة الاجتماعية التي يسود أفرادها التعاون.

2- **الدفاع:** لابد على أفراد المجتمع من تنظيم حياتهم تحت حاكم يدفع عدوان بعضهم البعض، ويضع حدا لذلك الصراع بين أفراد المجموعة التعاونية، وبدون هذا التعاون لا يحصل للفرد القوت ولا يتم دفاع ولا تستقيم حياة.

3- الميل الفطري: توجد في الإنسان غريزة فطرية تدفعه إلى تحقيق فكرة التجمع والاستئناس بأخيه الإنسان، وذلك لصيانة النوع البشري عن طريق الاستئناس بقوة الجماعة التي تساعده وتؤنسه وتوفر له الطمأنينة وتضمن له الحياة ويحصل على مطالبه ويحقق رغباته الملحة على الدوام **(إدريس خضير، 1992: 82-83).**

ثانيا-المنهج الخلدوني في دراسة العمران البشري

يقوم المنهج الخلدوني في دراسة العمران البشري على ستة قواعد أساسية هي:

1- الشك والتمحيص في نقل أخبار المؤرخين لتجنب الوقوع في المغالط والأكاذيب.

2- الواقعية الاجتماعية المتشخصة بموادها، بمعنى النظر إلى الحقائق الاجتماعية ومحاولة الكشف عما يعرض لذاتها وفق طبيعتها بموضوعية.

3- تحكيم أصول العادة وطبيعة العمران، وذلك لمعرفة الصدق من الكذب في الروايات والأخبار التي يتناقلها المؤوخون حول العمران البشري.

4- القياس بالشاهد والغائب لمعرفة الأسباب باستخدام ما يعرف بقياس التمثيل والتعليل.

5- السبر والتقسيم، فالسبر هو حصر الفكر في البحث عن المعلومات الحاضرة في الذهن، والتقسيم هو تصنيف هذه الأقسام وإبطالها إلى أن يبقى قسم وحيد تنحصر فيه العلة.

6- الحيطة عند التعميم، وتعني التحفظ عند إصدار التعميمات المختلفة **(علي غربي، 2007: 271-273).**

ثالثا–كيف قارب ابن خلدون بعض العلوم الاجتماعية؟

اختلفت وتعددت الحقول المعرفية التي تناولها ابن خلدون في مقدمته، فتحدث عن الدولة ومقوماتها، وعن المجتمع وفئاته، كما تحدث عن الاقتصاد الذي يؤثر في كل ما سبق، فغيابه يساوي انهيار الدولة والمجتمع، وحضوره يقوي الدولة وينمي المجتمع، ولعل التغيير الذي مارسه ابن خلدون في الكتابة التاريخية خلق تأطيرا جديدا لعلم التاريخ، يستطيع فهم أسباب حدوث الحدث التاريخي، وربطه بشروط وقوعه، ومن هذا المنطلق يمكن أن نعتبر عمل ابن خلدون خاصة "المقدمة"، ميلاد تاريخ عربي جديد كعلم مؤسس له بمرجعية نظرية لازمة، تضع الحدود المنهجية الفاصلة بين علوم الدين وعلم التاريخ **(زكرياء الهكار، 2020)**.

وهي الفكرة نفسها التي يؤكدها فؤاد البعلي من منطلق أن ابن خلدون ابتكر منهجا جديدا لكتابة التاريخ، فلم يعد الأمر يقتصر على تدوين الوقائع فحسب، بل في تعليل الوقائع تعليلا علميا يقوم على الملاحظة والمقارنة والموازنة والمعارضة، ولاسيما دراسة البيئة، وأصول العوائد، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران **(فؤاد البعلي، 2006: 47–49)**.

ومن جهته يؤكد "جورج لابيكا" في كتابه السياسة والدين عند ابن خلدون أن ابن خلدون ميز بين خمسة مفاهيم تضاف إلى مفهومي العمران والعصبية الذين يعبران طبائع العمران بالذات، فيصبح تصميم المقدمة على الشكل التالي:

1– في العمران أو في السوسيولوجيا العامة للحضارة: نظرية طبيعية الاجتماع (المقدمة الأولى)، الجغرافيا الطبيعية (المقدمة الثانية)، الجغرافيا البشرية (المقدمات الثالثة والرابعة والخامسة)، علم الاجتماع النفسي (المقدمة السادسة).

2– في البدو أو في سوسيولوجيا البداوة: وفيها عناصر الاثنولوجيا عامة (وجود طرازين من التجمعات البشرية) وعلم نفس مقارن (بدو وحضر) وجيو–سياسة (الصحراء) وديناميا اجتماعية (العصبية).

3– في الملك أو في الفلسفة السياسية: تحليل شروط الرئاسة الدنيوية (الملك بالمعنى الصحيح). والدينية (الخلافة)، واقتراح دينامية ممالكية وأنثروبولوجيا ثقافية (نظرية المؤسسات).

4– في الحضارة أو سوسيولوجيا التمدين: دراسة الظاهرة المدينية من مختلف وجوهها.

5– في المعاش أو في الاقتصاد السياسي الذي يتعلق بالأعمال والصنائع ووجود الكسب والرزق والمعاش.

6-في العلوم أو في سوسيولوجيا المعرفة: محاولة تصنيف علوم شامل **(جورج لابيكا، 1980: 47-48)**.

ويرى ابن خلدون في المقدمة أن الفلسفة من العلوم الاجتماعية التي استحدثت مع انتشار العمران وتعتمد على العقل والمنطق في إدراك الوجود الحسي منه وما وراء الحسي، من خلال إدراك أدواته وأحواله، بالتدبر والتفكير، والتمييز بين الحق والباطل **(كريمة صافر، 2017: 69-70)**.

وبسبب كثرة الآراء المتضاربة عن موقف بن خلدون من الفلسفة، فقد توصل بعض الباحثين إلى رأي مفاده أن ابن خلدون فيلسوف اجتماعي لأنه وضع الفلسفة في قالب اجتماعي، كما أنه لاحظ عن كثب ذلك المجتمع الذي بدا لعينيه بذكاء خارق وعناية فائقة، وهذا على الأخص في اهتمامه بقانون العلية عن طريق السبب بالمسبب **(فؤاد البعلي، 2006: 42)**.

كما أسهم ابن خلدون في تطوير الاهتمام بدراسة علم السكان، حيث يؤكد أن المجتمعات تمر خلال مراحل تطورية محددة تؤثر على عدد المواليد والوفيات في كل مرحلة، إذ يشهد المجتمع في المرحلة الأولى من تطوره زيادة عدد المواليد ونقص في عدد الوفيات، بما يؤثر على نمو السكان ويزيد عددهم، ويؤكد ابن خلدون تأثير كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع على مستوى الخصوبة والوفيات، والواقع إن الملاحظات التي قدمها ابن خلدون تشكل نظرية سكانية ديموغرافية لها مصداقيتها على واقع المجتمعات بصفة عامة **(بختة بن فرج الله، 2017: 14)**.

أما فيما يخص علم الاقتصاد، فإن الأفكار الاقتصادية المدونة في مقدمة ابن خلدون أقرب إلى علم الاجتماع الاقتصادي، لأنه يبحث الأمور الاقتصادية بنظرة الباحث الاجتماعي، ويتتبع التفاعلات التي تتوالى بين الحوادث الاقتصادية وبين سائر الأحداث الاجتماعية، وفي الفصل الخامس تحديدا يتحدث ابن خلدون عن المعاش ووجوه الرزق ووسائل اكتساب الثروة، كما تطرق إلى الصناعات وأنواعها وأحوالها بصفة عامة، ثم يفرد لكل منها فصلا خاصا كالزراعة والبناء والطب وغيرها **(ع.ع.ر.جلبي، 2000: 81)**.

رابعا-ابن خلدون ونظرية الصراع الاجتماعي

لقد أشار ابن خلدون إلى أن الحياة التي نعيشها ما هي إلا صراع مزمن بين البداوة والحضارة، أي بين سكان البدو وسكان الحضر، فالصراع هذا غالبا ما يقود إلى سقوط الملك أو الخلافة، إذ يسيطر البدو على الملك بعد أن يستقروا في المنطقة الحضرية، كما يحاول الحضر السيطرة على الريف والتوغل في البادية، وإخضاعها لسلطانهم، كما يرجع إلى قوة العصبية القبلية عند البدو وضعفها عند الحضر، وبسبب

قوة العصبية عند البدو فإنهم ينتصرون على الحضر في اكتساب الأراضي البدوية والاستحواذ عليها **(إحسان محمد الحسن، 2010: 128-129)**.

وبالتالي يعتبر مفهوم العصبية مفهوم مركزي لتفسير علاقات الصراع بين المالكين للسلطة والباحثين عنها، وهو صراع بين عصبتين متناقضتين من حيث المصالح لأن كل عصبية تحاول استمالة المؤيدين والمناصرين بتقديم مختلف الامتيازات للحفاظ على الملك، ورغم توفر هذه الامتيازات فإن الغلبة غير مضمونة مالم تتمتع العصبية بالقوة من خلال كثرة العدد وقوة التلاحم والنصرة واستمرارها، وقوة العلاقات القرابية وغالبا ما تتفاوت هذه القوة بين البدو والحضر بحيث تكون العصبية أقوى في البدو من الحضر **(ناصر قاسيمي، 2014: 89)**.

وبالمجمل، لم يكن من قبيل المصادفة أن يتناول ابن خلدون مبدأ عدوان البشر بعضهم على بعض لأنه يكرر بناء على ذلك ضرورة وجود وازع يدفع هذا العدوان، أي بتعبير آخر عندما تناول عملية الصراع الاجتماعي بين البشر، كان يمهد للحديث عن ضرورة وجود النظام السياسي، بمعنى الملك أو السلطة أو الدولة لحسم هذا الصراع **(ع.ع.ر.جلبي، 2000: 76)**.

المراجع

1- البعلي فؤاد (2006). **ابن خلدون رائد العلوم الإنسانية والاجتماعية**. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع.

2- إحسان محمد الحسن (2010). **النظريات الاجتماعية المتقدمة، دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة**. ط2، عمان: دار وائل للنشر.

3- الهكار زكرياء (2020). **ابن خلدون والمقريزي، دراسة مقارنة في المنهج والحقول والمصادر**. https://dergipark.org.tr/tr/pub/alnur/issue/43482/530459

4- السرجاني راغب (2013). **ابن خلدون وابتكار علم الاجتماع**. https://darfikr.com/article/%D8%A7%D8%A8%D9%86-%D8%AE%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%86-%D9%88%D8%A7%D8%A8%D8%AA%D9%83%D8%A7%D8%B1-%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9

5- بكيس نور الدين ورزقي نوال (2018). **مدخل إلى علم الاجتماع، طرح سوسيولوجي مبسط لفهم المجتمع موجه للطلبة الجامعيين وللمبتدئين في علم الاجتماع**. الجزائر: دار الأمير خالد.

6- بن فرج الله بختة (2017). " اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية."، **مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية** (الجزائر)، العدد 21، مارس.

7- جورج لابيكا (1980). **السياسة والدين عند ابن خلدون**. ترجمة موسى وهبة وشوقي الدويهي. بيروت: دار الفارابي.

8- خضير إدريس (1992). **التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية**. ط2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
9- علي عبد الرزاق جلبي (2000). " العمليات والنظم الاجتماعية في فكر ابن خلدون."، ورقة مقدمة إلى: **عبد الرحمان بن خلدون، قراءة معرفية ومنهجية** (مؤتمر)، جامعة عين شمس: كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، مركز الدراسات المعرفية.
10- غربي علي (2007). **علم الاجتماع والثنائيات النظرية، التقليدية-المحدثة**. الجزائر: منشورات مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة.
11- قاسيمي ناصر (2014). **سوسيولوجيا المنظمات دراسات نظرية وتطبيقية**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
12- صافر كريمة (2017). **مقدمة في علم الاجتماع**. الجزائر: النشر الجامعي الجديد.